

## مضامين النصوص الخطابية في ظل الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية

(دراسة في العلاقة التبادلية مع الجمهور المتلقي في دول عالم الجنوب)

**Content of discursive texts Under Radio and Television systems (a study on the reciprocal relationship with the recipient audience in the countries of the word of the south)**

باية سي يوسف\*

كلية علوم الاعلام والاتصال - جامعة الجزائر 3 - الجزائر

[mimi1407@live.fr](mailto:mimi1407@live.fr)

تاريخ الاستلام: 2021/03/19

تاريخ القبول: 2021/06/06

**الملخص**

يعالج موضوع مضامين النصوص الخطابية في ظل الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية، طبيعة العلاقة القائمة بين مضامين هذه النصوص المسموعة والمرئية مع الجمهور المتلقي، من حيث الوقوف عند التأثير الذي تمارسه على مستوى التلقي، خصوصا مع مرحلة التحول التي طرأت على بنيات النص المرئي والمسموع، بما آلت إليه من تأثيرات في القيم والمعتقدات والسلوكيات. لهذا، فقد انصبَّ اهتمام الباحثة من خلال هذه الدراسة على رصد أثر وتجليات مضامين وسائل الاتصال الجديدة على جمهور المستهلكين في مجتمعات عالم الجنوب.

وقد أسفرت الدراسة عن نتائج جوهرية أهمها، أنّ هناك محاولة لإعادة بناء عالم جديد ينبني على إقحام المجتمعات العربية الإسلامية والتي تعيش محيطا مغايرا. على هذا الأساس، يستوجب إنشاء نظام إعلامي عالمي عادل بين شعوب دول عالم الشمال والجنوب، يأخذ في الحسبان أهمية الاختلاف في الظروف المحيطة بالجمهور المتلقي.

الكلمات المفتاحية: المضامين؛ الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية؛ الجمهور المتلقي؛ الأثر؛ التجليات؛

**Abstract**

This topic is about the contents of discursive texts under the radio and television systems which deals with the nature of the relationship between the contents of these audiovisual texts and the recipient audience. Relationships expressed in terms of standing at the influence they exert on the level of reception, especially with the stage of transformation that has occurred in the structures of the visual and audio text, with what has come to it, Influences on values, beliefs, and behaviors.

\* المؤلف المرسل: باية سي يوسف، الإيميل: [mimi1407@live.fr](mailto:mimi1407@live.fr)

The researcher's interest, through this study, has, therefore, focused on monitoring the impact and manifestations of the contents of the new means of communication on the consumer audience in the societies of the world of the South broadly called the Third World Countries.

The study yielded essential results, the most important of which is that there is an attempt to rebuild a new world based on the inclusion of Arab-Islamic societies that live in a different environment. On this basis, it is necessary to establish a fair global media system between the peoples of the countries of the North and the South, which takes into account the importance of the difference in the circumstances surrounding the recipient audience.

**Keywords: Radio and television systems; The receiving audience; Impact; Manifestations;**

### مقدمة:

شهدت الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية تطورا ملموسا، أفرز متغيرات جديدة وأنماط متباينة من التعرض للمضامين الإعلامية، بما أتاحتها من تغيير ملحوظ في بيئة الاتصال ذاتها. فالأنظمة الإذاعية والتلفزيونية غدت تشكل جزءا مهما من أنظمة الاعلام والاتصال الجديدة، حيث أحدثت قفزة نوعية فيما يخص الاتصال التبادلي بين النصوص الخطابية وجمهور المستهلكين في دول عالم الجنوب.

وعلى الرغم من الميزات التي تحققت بفضل المستجدات العلمية من حيث تجاوز المراحل الانعطافية والتفاعل مع معطيات العصر الجديد، إلا أنّ لها تأثيرات وتجليات سلبية على هوية المجتمعات العربية الإسلامية.

### إشكالية الدراسة:

تعدّ الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية نتاج قوى سياسية واجتماعية تمكّنت من إحداث تغيير شامل في عملية تلقي المضامين الخطابية لدى الجمهور المتلقي، حيث ساهمت هذه الأنظمة في حدوث التبدّل ثم التوسّع، فالامتداد في قدرات الإنسان الاتصالية، وما آلت إليه من تأثيرات على مستوى القيم، المعتقدات، العقليات والسلوكيات، أيضا ظهور حالات مستجدة وجديدة من علاقات التأثير والتي تؤدي أحيانا إلى التهميش، وفي حالات أخرى إلى الاستبدال المتبادل في عملية الاتصال، وهو ما يدفع بنا إلى طرح إشكال رئيسي ضمن سياقات فكرية اجتماعية تواكب سيوررات المنظور الاتصالي على النحو الآتي :

- ماهي الأدوات القاعدية لتوظيف الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية بما تتطلبه من مميزات لإحداث النقلة النوعية المطلوبة، تأخذ في الحسبان أهمية مراعاة المفاهيم والقيم الأصيلة لمجتمعات عالم الجنوب؟

وقد تفرّع عن هذه الإشكالية عدّة تساؤلات فرعية أهمّها:

- ماهي طبيعة العلاقة القائمة بين المضامين الخطابية والجمهور المتلقي؟

- ماهي الاستراتيجية التي يجب تبنيها من أجل مراعاة الاهتمامات والاستعمالات وفقا للمتغيرات الخاصة بواقع المجتمعات؟

- كيف يمكننا تدارك السلبات المطروحة على مستوى التلقي، بغية تفادي مراكز العطل في توسيع الهوة بين المضامين الخطابية والجمهور المتلقي في دول عالم الجنوب؟  
أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة من خلال معالجة موضوع مضامين النصوص الخطابية إلى تحقيق ما يلي:

- الوقوف عند طبيعة العلاقة القائمة بين المضامين الخطابية والجمهور المتلقي.
  - ماهية التأثيرات التي تمارسها هذه المضامين على مستوى التلقي.
  - معرفة الدور المنوط بالجمهور المتلقي للمضامين الوافدة من وراء الحدود.
- أهمية الدراسة:

تكتسي دراسة مضامين النصوص الخطابية في ظل الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية أهمية قصوى، من حيث ضرورة التأسيس لمضامين تعمل في فحواها على مراعاة وحماية الحدود المرسومة والثوابت التي تؤمن بها المجتمعات.

كما تتبع أهمية هذه الدراسة أيضا من الاهتمام المتزايد للباحثين الذين أحسوا بناقوس الخطر الذي أصبح يهدد أمن واستقرار وسلامة دول عالم الجنوب.

#### منهج الدراسة وأدواتها:

تتمثل المنهجية المتبعة في هذه الدراسة في استخدام أساليب منهجية فرضتها أهمية الدراسة والهدف العام لها، كما فرضتها معالجة ومناقشة ثم تحليل موضوع (مضامين النصوص الخطابية في ظل الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية)، مما يستدعي ضرورة اختيار طريقة البحث وأدواتها المناسبة التي تترهما المشكلة وهي:

أسلوب المسح الذي يعتبر من أبر الأساليب المنهجية في مجال الدراسات الإعلامية، والذي يمثل جهدا علميا منظما للحصول على بيانات ومعلومات حول الظاهرة أو مجموعة من الظواهر موضوع البحث (سمير محمد حسين، 1995، ص 132)

كما يستفاد من هذا الأسلوب المنهجي في دراسة الإشكالية وتفكيكها إلى عناصرها التراتبية، بغية التوصل إلى دلالات مفيدة.

وانطلاقا من ذلك، لجأت الباحثة إلى الاستعانة بأسلوب تحليل المضمون (المحتوى)\*، "حيث يستخدم النقد البناء معتمدا على الشواهد المادية والمعنوية، والخروج باستنتاجات تساعد على القيام بالتحليل للتوصل إلى نتائج" (سمير محمد حسين، 1996، ص 25)

وقصد الإجابة على تساؤلات الدراسة الرئيسية، "طبقاً للتصنيفات الموضوعية التي حددها الباحث، شريطة أن تتم عملية التحليل بصفة منتظمة، ووفق أسس ومعايير موضوعية" (Roger muchielli, 2006, p17)

وبالنسبة للأدوات المستعملة، فقد قامت الباحثة بتحليل مضمون الإسهامات البحثية المتصلة بطبيعة المضامين في ظل الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية الرائدة في مجال الاعلام والاتصال، والتي أصبحت تغزو مجتمعات عالم الجنوب، وما يمكن أن ينجم عن ذلك من تأثير على هوية المجتمعات العربية الإسلامية، وذلك استناداً إلى تساؤلات الدراسة، وباستخدام أداة الملاحظة ثم التمحيص والتحليل لاستخلاص النتائج. بناءً على ذلك يتسنى لنا معالجة المحاور الأساسية التي يتألف منها الموضوع المطروح للمعالجة على النحو الآتي:

### 1.1 الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية وطبيعة العلاقة القائمة

#### 1.1 الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية والجمهور المتلقي في دول عالم الجنوب:

إنّ ما يحدث اليوم بفضل ثورات الاتصال المتتالية وبآليات متسارعة، تسبّب في ظهور حقبة تكنو معلوماتية جديدة، من أهم مظاهرها (الأنظمة الاتصالية) والتي من شأنها تساهم في إحداث صياغة جديدة للوجود الإنساني بما يمكن أن تؤدي إليه من تأثيرات شتى في الحياة المادية والقدرات الإنتاجية، بل وحتى في كل فروع الحياة (فريال مهنا، 2002، ص14) فما الذي تطرحه أنظمة الاتصال الحديثة من إشكال على مستوى التلقي؟

في هذا السياق، نشير إلى أنّه من أهم الوقائع التي ارتبطت بالأنظمة الإذاعية والتلفزيونية تتمثل في الانقلاب الجذري الذي طرأ على بنيات النص الإلكتروني من حيث مفهومه، أبعاده وتراكيبه، إذ أصبح يتحرك عبر مسارات معقّدة ومتشابكة وبلا قيود، ويجسّد أداة ثورية من شأنها التأثير بعمق في العمليات العقلية العليا للإنسان من جهة، ومسبّباً في انكماش وتردي الإنسان التيبوغرافي مؤدياً بذلك إلى تثبيت وتسريع سيرورات العولمة بكل تداعياتها، مبدلاً جوهر العلاقة بين الإنسان والطبيعة في العالم المتقدم، وأيضاً في عالم الجنوب والتي تعدّ مستهلكاً لهذه التقنية الاتصالية أو في أحسن الحالات منتجاً تابعاً لها (المرجع نفسه، ص15)

وإذا أردنا أن نعتمد على نموذج العالم العربي والإسلامي واللذان يواجهان تحديات معقّدة تهدّد الوجود الإنساني والثقافي من جهة، فإنّه من جهة أخرى، نجد حقيقة مفادها أنّ المستجدات العلمية التقنية تدفع بشكل متسارع نحو تشكل نصوص من نوع جديد، لإنتاج فكر مؤهل بخصائصه لممارسة تأثيرات عميقة في المضامين المعرفية التقليدية، والتي يتسنى لها أن تعمل على تقديم حلول مثلى لإنجاز عمليات ملائمة بين وقائع عالم الجنوب ومضامين النصوص الخطابية المطلوبة، بطريقة يتم من خلالها توظيف خصائص التقنيات المعلوماتية الجديدة بغية

إنتاج فكر قادر على تجاوز المراحل الانعطافية والتفاعل بكفاءة واقتدار مع معضلات العصر الجديد (محمد جمال، 2000، ص4)

على هذا، ينبغي التشديد والالتزام بواقعية معينة لعدم خداع الشعوب، ذلك أنّ انخراط المجتمعات في واقع الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية الجديدة بما تتضمنه من صيرورات العولمة، سبقيها في وضعية التّابع، ولهذا لا بدّ من الشروع في إحداث التغيير الذي تتطلبه الحقائق، لأنّ الانخراط في عمليات التكيّف الجماعي، سيؤدي إلى جعل تلك الشعوب عبيد الحقبة التكنو معلوماتية.

## 2.1 أهمية تحقيق الربط مع الجمهور المتلقي في دول عالم الجنوب :

لقد أدّى تطور التكنولوجيا الرقمية بما آل إليه من تغيير في مختلف الأصعدة إلى تعدّد واضح في الرغبات لدى الجمهور المتلقي، ممّا يقتضي التعامل مع هذه المتطلبات بصورة موضوعية أيضا، وأصبح من اللازم على المضامين الخطابية الواردة التكيّف من خلال محتويات تساير اهتمامات الجمهور المتلقي في دول عالم الجنوب.

من جهة أخرى، فإنّنا نلاحظ غموضا يكتنف بالخصوص طبيعة العلاقة القائمة بين هذه المضامين وجمهور المتلقين في مجتمعات علم الشمال والجنوب على حدّ سواء. فهل نستشفّ محاولات لبناء مضامين خطابية تشكل رزمة في خدمة الجمهور المتلقي الذي أصبح في أكثر الحالات مستهلكا تابعا في ظل سقوط كل الحدود بما فيها الحدود الثقافية للشعوب؟

لقد بات من الضروري التحكم في النصوص الخطابية (صوت وصورة) وفي تنوع محتوى هذه النصوص والسعي إلى التخطيط بما يتوافق مع طموحات الجمهور المتلقي مع مراعاة شروط عدم التجانس بين هؤلاء المتلقين، وهنا نتساءل عن كيفية وضع حدود مضبوطة تتيح فرصا غير متساوية في الاطلاع على المضامين الإعلامية وفي مختلف المجالات المتوفرة، بصورة أدق أين تكمن مهمة الرقابة في مراعاة مبادئ الشعوب؟ كلّها تخمينات واردة ومطروحة وتحتاج إلى أجوبة طارئة ذلك أنّ الوضع تأزم وأصبح يهدّد البشرية جمعاء.

يمكننا في هذا الجانب أن نلوم على المتلقي، كونه يشكل خطورة في خضم التحوّل الذي يشهده تطور الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية بما تحمله من مخاوف ومخاطر لا تحسب عقباها. ففلسفة الرقابة في أي دولة لا بدّ أن تلعب دورا لا يستهان به في تحقيق الربط مع الجمهور المتلقي دون تجاهل الحدود الكيفية لهذه الدول من حيث المبادئ التي تؤمن بها والقوانين التي تخضع لها مع وضع حد للعفوية والارتجالية في مجال الإعلان والاشهار.

تساؤل آخر يراودنا حول ماهي الاستراتيجية المثلى التي يجدر بنا تبنيها في مجال النصوص الخطابية الواردة عبر الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية من أجل وضع حدود صارمة للسيل الجارف والوافد من كل الأسواق المبهمة والمشكوك فيها؟

إنّ الأمر يتطلب مراعاة الاهتمامات والاستعمالات وفقا للمتغيرات الخاصة بواقع المجتمعات، كما يستلزم إعادة النظر في العلاقة بين النصوص الخطابية عبر الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية كطرف مرسل والجمهور المتلقي لها كطرف مستقبل، من حيث النقائص والسلبيات المطروحة بغية تدارك النقص من أجل دخول عالم واع احترافي مع استخراج مراكز العطل في توسيع الهوية بين محتوى النصوص الخطابية والجمهور في دول عالم الجنوب (عابد الجابري، 1998، ص18)

نؤكد هنا على ضرورة البحث في طبيعة ارتكاز الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية بما تحمله من نصوص ومحتويات وعلى قواعد التلقي للجمهور والتأكيد أيضا على هوية المجتمعات. إننا نوافق الرأي الذي يميل إلى القول بأنّ الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية تشمل تقنيا على أعمال فائقة العرض من الناحية الشكلية البارعة في الإنجاز، ولكن مخاوفها أكثر وعواقبها أكبر، ذلك أنّ نتائجها تخصّ المجتمعات الغربية على وجه الخصوص ولا يمكن إقحامها في المجتمعات العربية الإسلامية والتي تعيش محيطا مغايرا. وهذا ما يؤدي بنا إلى التطرق إلى المحور الثاني على النحو الآتي:

## 2. نماذج من التأثيرات النوعية ، مدى صلاحيتها ومواكبتها لدول عالم الجنوب :

### 1.2 الاستقرار، التغيير، والتبعية:

إنّ انتشار أجيال جديدة من الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية ثور الخصائص التي تتميز بها هذه الأنظمة، سواء ما تعلق بطرائق العمل للوسائل المختلفة أو ما ارتبط بالقيم والجوانب الثقافية، فالإنقلاب النوعي الذي أحدثته الأنظمة الجديدة فيما يتعلق بعمليات إنتاج النصوص الخطابية من فكر وثقافة قابل لفتح آفاق وسبل فيما يخص آليات القراءة وإزالة أي تناقض أو تعارض بين صلاحية هذا النوع من الأنظمة لكل زمان ومكان بوصفها أنظمة أحادية بما تحمله من نصوص صالحة لكل المجتمعات (نهوك القادري، 2005، ص3)

في هذا السياق، نشير إلى أنّ الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية التي تستطيع الاستمرار هي تلك التي تلبي حاجات الاستقرار والتكامل والفعالية الإنتاجية للجمهور المتلقي ، كما تسهم في مراقبة العوامل التي تهدد الاستقرار والتوازن، ذلك أنّ المجتمعات الراهنة أصبحت أكثر تعقيدا ، ولهذا يجب تطوير أنظمة جديدة تؤمن بالاستمرارية نحو اقتصاد خدمات معلوماتية ، وتأقلم الجمهور المتلقي مع البيئة الاجتماعية المحلية والعالمية المتغيرة وتقديم أنظمة لعالم يسير نحو

مزيد من التعقيد ، حيث أنّ استمرار الجنس البشري أصبح موضع شك بسبب تقليص الاتصال بين الشعوب وقلة الموارد ،ولهذا ينبغي استنباط طرائق جديدة في تقديم الخدمات(نسمة البطريق،2007،ص11)

هناك مسألة أخرى تتمثل في التغيير والذي يعني، كيف يمكن للأنظمة الجديدة أن تساعد الجمهور المتلقي على أن يعطوا معنى لعالم غامضا ومتغيرا؟

في كل الحالات، فإنّ العلاقات تتموقع في خانة التبعية القوية للمضامين، ممّا يساهم في تمتين علاقات التبعية المعرفية، وفي خلق ثقافات رمزية عالمية مشتركة في إطار نظام عالمي جديد للمعلومات، وهذا ما يؤدي طبعا إلى تأثيرات على الآراء والسلوكيات والعقليات وهي تأثيرات مرغوب فيها.

إنّ التأثير الذي تمارسه مختلف النصوص الخطابية عبر الأنظمة المختلفة على الجمهور العريض لا يتميز بكفايات معلوماتية خاصة، قد يؤدي إلى سلسلة من إمكانيات إخفاق الاتصال التفاعلي الناتج عن وجود فوارق من الكفايات والأهداف الممكنة التي يصمّمها النظام وتلك التي تخص الجمهور المشترك نفسه، وعندما يحدث عدم الانسجام، يصبح الاتصال التفاعلي مستحيلا (حمادة بسيوني،2005، ص41)

نشير إلى أنّ هناك من يجد في أشكال الأنظمة الجديدة ضياعا للمرجعية وإلى تغيير مستمر للرأي، لذلك يبق من الضروري النظر في الشروط الواقعية لهذه الأنظمة.

نقول أنّه في سياق تطور الأنظمة الاذاعية والتلفزيونية بشكل متصاعد، فإنّ نوعية التفاعل بين الجمهور المتلقي والمضامين ستكون أساسية بالنسبة لنوعية الحياة، فمن الأهمية اكتساب الجمهور المتلقي فهما صحيحا لها.

فالتحدي القادم يكمن في إرساء عمل بحثي يتمتع بأساسيات نظرية راسخة للتعرف بدقة على العوامل الاجتماعية التي تؤثر على احتمالات تطور الأنظمة إلى مسار سلبي يدمّر الإنسانية.

## 2.2 علاقات تبعية في اتجاه واحد، وعلاقات تبعية للتبعية:

إنّ علاقات التبعية تجاه الأنظمة الاذاعية والتلفزيونية تشكّل أولوية بالنسبة للمقاربات المعرفية بغية تفسير تأثير المضامين على الجمهور المتلقي، وتفترض التبعية سيرورة سيكولوجية ترفع احتمال أنّ الجمهور المتلقي يتأثر بالمضامين التي تطرحها هذه الأنظمة.

فالثورات العلمية الاتّصالية غيرت ملامح الجمهور المتلقي حيال النصوص الخطابية الواردة عبر الأنظمة الاذاعية والتلفزيونية، حيث تفاقمت المشكلات ونشأت إشكاليات جديدة فيما يخص الواقع الجاري.

وعلى الرغم من أنّ معظم المقاربات النظرية والميدانية قدّمت تفسيرات للعديد من أنواع التبعية، إلاّ أنّها لم تتوصل بعد إلى تحاليل واضحة تشمل هذه التبعية، حيث تطرأ في كل مرّة فئات جديدة من المتغيرات المستقلة والتابعة (صالح أبو إصبع، 1995، ص33)

ولعلّ التعقيد الاجتماعي وغياب القواعد والضوابط، وأيضا الاغتراب السيكولوجي للجمهور المتلقي جعل الأنظمة الجديدة وسائل تبعية قوية للجمهور، فما هي المتغيرات التي تمارس وتحقق هذه التبعية؟

إنّ علاقات التبعية تتمحّض عن سيكولوجية الجمهور المتلقي من جهة، وتأثير الأنظمة على عناصر استراتيجية إقناعية في عملية بناء المعنى، وهذا ما يجعل أنّ التبعية تتشابك أكثر فأكثر.

صحيح أنّ الأفراد يعيشون في محيط علاقات شخصية مستقرّة وأنّ هناك شبكات من العلاقات والروابط تعطي لهؤلاء الأفراد قواعد ثابتة وقناعات خاصة، لكن في ذات الوقت ما ينجم عنها من اتّجاهات ناتج عن تأثر بعضهم بالبعض وليس عن تأثير الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية لوحدها. فالتبعية ترتبط أساسا بتحليل الكيفيات التي تخص العناصر المتحركة في البنية الاجتماعية للأفراد، فكيف يمكننا أن نفسّر أسباب وجود التبعية لهذه الوسائل؟

إنّ التبعية تركز على بناء علاقات بين الجمهور المتلقي ومختلف عناصر هذه الأنظمة، حيث أنّ التبعية تنطلق من مسلمة أنّ الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية تمثّل جزءا مهما من نسيج المجتمعات العصرية، وتوطد العلاقات مع الجمهور المتلقي لها، ومن المحتمل أن تكون هذه العلاقات صراعية أو تعاونية أو متغيرة وعلى درجات متفاوتة من الشدّة، ولكنّها تبقى دائما علاقات وهذا هو المهم.

وتبعاً لذلك ، فإنّ التبعية هي الركيزة الأساسية التي تبحث عنها الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية في العالم المتقدم، بمعنى بناء علاقات تبعية مع المستهلكين لمختلف النصوص الخطابية التي تقوم بإنتاجها، ذلك أنّ تجسيد علاقات التبعية بالمعنى المطلوب سيؤدي لا محال إلى تحقيق أهداف منها المعلوماتية التي تولد بدورها تبعية لما يجب أن يصل إليه المتلقي، هذا بالإضافة إلى أنّ هذه العلاقات ليست ذات اتّجاه وحيد، فالأمر لا يتعلق بتبعية المتلقي لمصادر الأنظمة فحسب، بل بتبعية هذه الوسائل في حدّ ذاتها إلى مصادر تقع خارج نطاق سيطرتها، وهو ما يجسّد ازدواجية في علاقات التبعية اتّجاه الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية، وعلى الرغم من ذلك، فالذي يهّمنا بالدرجة الأولى هو تبعية الأفراد لهذه الوسائل (فريا مهنا، مرجع سابق، ص15)

نعم نوافق الرأي الذي يقول أنّ التبعية تحقق الفهم عندما تستخدم الأنظمة لفهم ثقافات معينة واستيعاب لذوات الأشخاص، ولكن هناك نوعا من الممارسة لأشكال التبعية لهذه الوسائل ولمضامينها بطريقة أو بأخرى.

أيضاً، نقول أنّ الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية تسيطر على معلومات ثمينة في المجتمعات الحالية، ولكن يجب ألا يبالغ في أهميتها، فهي تيسر الوصول إلى أهداف الفهم والترفيه، غير أنّ الأفراد يرتبطون مع ذلك بشبكات علاقات شخصية، دينية، ثقافية، لذلك فإننا لا نتفق مع التبعية اتجاه الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية في ظل عزوف الأفراد عن واقعهم ومجتمعاتهم.

فالتبعية بالمنظور الصحيح تكمن في السيطرة على تلك الوسائل بما يتوافق مع واقع المجتمعات عامة ودول عالم الجنوب على وجه الخصوص، رغم أنّ المتلقي للمضامين الإعلامية يستطيع تشكيل شروط التعرض لها، وشروط ما بعد التعرض، فإنّه لا يمتلك قناعة اتجاه التبعية للأنظمة الإذاعية والتلفزيونية.

### 3. التبعية المتبادلة في ظل الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية:

#### 1.3 التبدل، التأقلم والصراع:

إنّ تطور الدراسات والأبحاث المتعلقة بالأنظمة الإذاعية والتلفزيونية يبرز جلياً أنّ هناك تبعية متبادلة بين مختلف العوامل المشكلة للتأثير على المتلقي من خلال التناوب الذي تحدثه في عملية التأثير، وهي ضرورية للكشف عن نوعية وقوة التبعية، بل وقوة التأثيرات التي تتبدل حسب الزمن وحسب طبيعة العلاقة السببية القائمة، ممّا يشكل خطوة أولى نحو تحليل تعقيدات التأثير فيما يتعلق بالتفاعل والتداخل المتبادل والتأثير بين مختلف العوامل المشكلة لجملة من العلاقات المعقدة والتبعيات المتبادلة، فالتداخل بين مختلف هذه العوامل يؤدي إلى تشكل عمليات تأقلم متبادل في حالات معينة ومتغيرة في حالات أخرى، حيث تنشط تأثيرات قوية من عنصر إلى عنصر آخر مع ديناميكية التبدل أو التأقلم بين مختلف العناصر المشكلة للتبعية (طيب تيزني، 2010، ص 22)

إنّ، تبدو أهمية دراسة التأثيرات الطويلة المدى على الجمهور المتلقي، من حيث مدى استمرارية هذه التأثيرات على مستوى الاتجاهات والسلوكيات عبر المضامين التي وضعتها الأنظمة؟ هل هناك تبدل لهذه التأثيرات على مستوى معين من تطور هذه الاتجاهات، أين تبرز قوة هذه التبعية؟ هل أنّ العناصر تتبادل التأثير حسب متغيرات استراتيجية أو سياسية أو اقتصادية مفروضة؟

تتخذ التبعية المتبادلة أو التبادلية أشكالاً متعدّدة، تطرح وتؤدي إلى تأثيرات إيديولوجية، ثقافية، اقتصادية وسياسية في إطار ما أطلقت عليه تسمية (أمركة العالم) على أنّ العولمة هي هيمنة أمريكية مستديمة بمخاطبة العالم ب: يا أيها الشعوب! (العامر قنص، 2002، ص 66)

هذا ما يؤدي بنا إلى تسليط الضوء على آليات بناء الثقافة العربية الإسلامية وعن قيمها ومبادئها، ذلك بغية إبراز مؤشرات التأثير للتحكم في العوامل المسببة في التبعية المعقدة

والمتكونة من نسيج علاقات بين متغيرات داخل الوسائل الأنظمة المختلفة والتي تؤدي إلى حالات من الصراع القائم، تنجم عنها عملية الاستحواذ على الجمهور المتلقي.

إنّ التحديّ القادِم يكمن في إيجاد حلول جوهرية مستعجلة تتعلق بالكشف عن التبعية، من حيث طبيعتها ، سيروراتها في ممارسة التأثير على المتلقي ، ممّا سيسمح بملاحظة المتغيرات والتأثيرات التي تعمل في مستويات متباينة ومتبادلة، أيضا ديناميكية التأثير الطويل المدى، المتوسط المدى والقصير المدى ، ومعرفة ما إذا كانت التبعية دورية أو ظرفية ومن ثمّ التأسيس لبناء علاقات أو القدرة على إعادة بناء تدفق للعلاقات التبادلية المناسبة وفي مستويات مختلفة ، وفي مسار مفيد للجمهور المتلقي للمحتويات الوافدة من الوسائل الجديدة.

يبقى من الضروري التشديد على الاستخدام الأكبر لتحليل علاقات التبعية المتبادلة بين مختلف العوامل المشكلة لها، وأيضا تنامي المتغيرات المتحركة فيها، فذلك مؤشرا إيجابيا على النمو في الاتجاه السليم في العلاقات الممكنة للتبعية بطريقة تبادلية مفيدة للجمهور المتلقي.

### 2.3 الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية نتاج قوى اجتماعية:

يقول المفكر الإيطالي الشهير **Fabier. Carassa** في مرجعه "المحتوى التكنولوجي للعالم المعاصر (Carassa. F ,1997, p382) ما يلي :

"إنّ الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية هي نتاج قوى اجتماعية، قامت بتحديد الأنظمة التي يجب أن تستمرّ وتنمو..."

إنّ الأنظمة الأكثر حداثة والأكثر انتشارا ترتبط باستعدادات اجتماعية، اقتصادية وحتى سياسية ممكنة، فالأمر يتعلق بإجراء دراسات معمقة في البيئة الاجتماعية المحيطة، سواء ما اتصل بدول عالم الشمال أو بدول عالم الجنوب على حدّ سواء، من أجل الكشف عن مختلف الأساليب التي تؤدي إلى توقع احتمال تحوّل الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية إلى أنظمة اتصال جماهيري، حيث تهيمن عليها قوى اجتماعية وسياسية وحتى حقوقية بغية توجيهها نحو المنحى الذي تصبو إليه.

وإذا ركزنا على قراءات معرفية التي تصب في هذا السياق، فيمكننا أن نشير على سبيل المثال إلى:

- النظرية البنوية الوظيفية والتي تؤكد ما قاله " **f. carassa** " وهو أنّ الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية ذات الصلة بعمق المجتمع وواقعه هي التي تستطيع أن تحقق الازدهار، النمو، الاستمرارية، التكامل والفعالية الإنتاجية، وأيضا تيسّر التعاون بين مختلف أجزاء المجتمع وتعمل جاهدة على الحدّ من العوامل التي تهدّد الاستقرار والتوازن في كنف الوسائل الجديدة.

-نظرية التطور التدريجي:

ولهذه النظرية منحى آخر، فهي ترى أننا اليوم وبفضل التطور الحاصل ، قد أصبحنا بحاجة ماسة إلى التكيف لا غير، مهما كانت الأوضاع السائدة ، ذلك أن المجتمعات الراهنة أصبحت أكثر تعقيدا وأكثر صعوبة ، ولذلك فإنّ التكيف هو الحل الأنسب الذي يحقق ويؤمن الاستمرارية ، ويؤدي إلى نجاحات متوقعة في حل المشكلات التي أوجدتها المرحلة الانتقالية الجوهرية نحو اقتصاد خدمات معلوماتية، فهي تؤكد على ضرورة تأقلم الانسان مع البيئة الاجتماعية المتغيرة الوطنية والعالمية، ذلك أنها ترفض أي محاولات على مستوى التوافق مع الأساليب التقليدية الشخصية والجماعية ، كما آلت إليه النظرية البنوية.

إنّ أصحاب نظرية التطور التدرجي يرون بأننا قد وصلنا إلى عالم يسير نحو مزيد من التعقيد، لهذا فهي تدعو إلى التكيف، ذلك أنه في كل مرة تصبح فيه الأنظمة الجديدة قديمة ترتبط استمراريتها بمدى قدرتها على استنباط طرائق جديدة في تقديم الخدمات.

#### -نظرية الاتصال التبادلي:

ويدفع أصحابها إلى التفكير بمسألة التغير الذي ينصب على الأفراد أكثر من الجوانب الاجتماعية التي يهتم بها منظرو النظرية التدرجية، ومن أهم الاعتبارات الأساسية لأصحاب نظرية الاتصال التبادلي هي كيفية مساعدة الوسائل الجديدة للأفراد على أن يعطوا معنى لعالم غامض ومتغير؟ ومن ثم فإنهم يرفضون ما جاء به **f. carassa** ويشيدون بأهمية تبعية الأفراد لمختلف الوسائل، ذلك أنهم يؤمنون بعلاقات التبعية الأكثر قوة التي تمكنهم من متابعة المجريات بشكل أفضل.

من خلال الانتقادات التي شملت نظرية **f. carassa** فإن احتمالات النجاح الأقوى الذي تحظى به الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية في كنف أصحاب هذه النظرية، وهو الأمر الذي سيساهم في تمتين علاقات التبعية المعرفية للأفراد وخلق ثقافات رمزية مشتركة في إطار نظام عالمي جديد للمعلومات.

#### -نظرية الصراع:

وتؤيد في فحواها الاتصال التبادلي الرمزي، إذ يؤكد أصحابها على مسألة الثقافات الرمزية العالمية والوقائع الجديدة التي يمكن تبنيها والتي يفترض أن تصبح أكثر أهمية من القوة العسكرية.

#### -نظرية المعرفة:

وهي تلفت النظر إلى جانب بعيد عن كل ما آلت إليه مختلف الرؤى، وهو جانب تأثيرات الأنظمة على سلوكيات الأفراد، وأن الأنظمة التي تتحول إلى جماهيرية هي التي تمارس تأثيرات مرغوب فيها.

ويبقى من الضروري إذن التعرّف بدقّة على مختلف العوامل المتوقعة في احتمال تحول أو تطور أنظمة رقمية معينة إلى أنظمة جماهيرية، بإمكانها تحقيق التأثير المطلوب (فريال مهنا، مرجع سابق، ص71)

### نتائج الدراسة:

من بين أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة ما يلي:

- إشكاليات أساسية تخص الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية تتمثل في أنّ تطور وتقدم هذه الأنظمة ستكون له انعكاسات على الجمهور المتلقي سواء ما تعلق بالاتصال التبادلي الإنساني فيما بين الأفراد، أو ما اتّصل بالنصوص الخطابية عبر مختلف الوسائل.
- أنّ الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية صمّمت من أجل تحقيق هدف الاحتواء والتحكم والسيطرة على الجمهور المتلقي في المجتمعات عموماً، وفي دول عالم الجنوب على وجه الخصوص.
- تحقيق الوظيفة الاتصالية مع الجمهور المتلقي مع تسيير ردود أفعاله إلى حد كبير.
- أنّ الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية من خلال المضامين الخطابية، تحاول تقديم نصوص قابلة للبيع، وتتضمن انعكاسات خطيرة على الجمهور المتلقي لها.
- تنقل الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية أكبر كم من المعلومات إلى الجمهور المتلقي، حيث تميل تلك الوسائل إلى إدخاله إلى عالم جاعلة منه متلقياً متحركاً والرضوخ للسياقات الثقافية.
- الانغماس في سياقات ثقافية تحرّكها هذه الأنظمة في الاتجاه الواحد.
- وعلى الرغم من كل ما تسعى الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية إلى تحقيقه من خلال عملية الربط مع الجمهور المتلقي، إلا أنّ هذا لا ينفي أن هذه الأنظمة تتيح تبادلاً اتصالياً في مساحات الاتصال وتقدم خدمات معلوماتية في شتى المجالات الممكنة.

### خاتمة:

نصل إلى خلاصة مفادها أنه يتعيّن إعادة النظر في طبيعة العلاقة التي يجب أن تكون بين الأنظمة الإذاعية والتلفزيونية مع الجمهور المتلقي، من حيث جدوى إدخال تغييرات فيما يخص الاتصال التبادلي، يكسب من خلالها الجمهور المتلقي دوراً جديداً، يصبح فيها عضواً قادراً على بناء أفعال واقعية بشكل، يوجه سريان الاتصال التبادلي بما يتلاءم مع ضروراته ومتطلباته.

### المراجع:

- المؤلفات:
- العامر قنص، (2002)، السلوك الاتصالي للجمهور الإعلامي العربي، دمشق، دار الهدى للنشر والتوزيع.
- بسبوني حمادة، (2007)، دور وسائل الاتصال في صنع القرارات في الوطن العربي، بيروت، دار الفكر العربي.

- سمير محمد حسين، (1995)، الاعلام: الأسس والمبادئ، القاهرة، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.
- سمير محمد حسين، (1996)، تحليل المضمون، القاهرة، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.
- صالح أبو الأصبع، (1995)، الاتصال والاعلام في المجتمعات المعاصرة، عمان، دار آدم للدراسات والنشر والتوزيع.
- طيب تيزني، (2010)، العرب والعولمة، القاهرة، مكتبة الانجلو-مصرية.
- فريال مهنا، (2002)، علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية، سوريا، دار الفكر العربي.
- محمد الجابري، (2000)، ماهي العولمة، بيروت، دار الريس.
- محمد جمال، (2000)، النص والواقع والمصلحة، دمشق، دار الفكر العربي.
- نسمة البطريق (2007)، نظرية الاعلام المرئي والمسموع، القاهرة، دار المعارف.
- نهوك القادري، (1999)، الاعلام الفضائي والثقافة العربية، بيروت، دار الفارابي.
- رغم استخدام الباحثة للفظ أسلوب تحليل المضمون كما هو متداول في كلية علوم الاعلام والاتصال، بناء على طبيعة الاستخدام المعهودة في الكلية، وبالنظر إلى طبيعة المقاييس البيداغوجية المدرسة والتي تشير مباشرة إلى لفظ أسلوب تحليل المضمون عوض التقنية أو الأداة، إلا أنّ هناك من الباحثين في المنهجية من تبني لفظ أداة أو تقنية، مردّ ذلك نوعية المراجع المعتمدة في مجال البحث العلمي.
- *F. carassa, (1997), el contest tecnologico della vita contemporaneo, Milano, ed vita pensiero*
- *Roger Mucchielli, (2006), l'analyse de contenu des documents et des communications, Paris, ed esf.*